التفسير الصوتي لبناء الفعل المجهول

د. صباح عطوي
كلية التربية/جامعة بابل

المقدمة:

دخل الدرس الصوتي ميدان جل علوم العربية ، فاستعين به لتفسير ظواهر نحوية كثيرة[1] ، ولكنه دخل بغزارة إلى علم الصرف ، إذ فسرت معظم ظواهره صرفيا[2]، والناظر إلى عملية البناء للمجهول واجد أنها قائمة على تغير صوتي يطرأ على الصوائت ، أما الصوامت فثابتة لا تتغير وهي حاملة الدلالة المركزية ، فالفرق بين (كَتَبَ وكُتِبَ) إنما هو في حركة الصوائت في حين لم تتغير الصوامت وظلت محافظة على معنى الكتابة .

والفرق بين سافر وسوفر تغيير الألف إلى واو مدٍ وفتحة الفاء صارت كسرة مع بقاء الدلالة ثابتة تحملها الصوامت ، وكذلك الأمر في (مُسْتَخْرِج ومُسْتَخْرَج) ، أصبحت كسرة الراء فتحة عند صياغة اسم المفعول ، فالأمر فيما نحسب يقوم على تغيير هذه الصوائت ، بل إن قسما من نظام هذا التغيير يقوم على مبدأ مخالفة الصوائت .من هنا جاءت فكرة هذا البحث ، فهي محاولة لدراسة ظاهرة بناء الفعل للمجهول صوتيا وتفسيرها بناء على أمرين ، الأول : أن هذا المنطوق كله مجموعة من الأصوات تأتلف فيما بينها لتكوّن المفردات التي تحمل الدلالات التي يسوقها المتكلم في نظام معين وسيلة لغوية .

والأخر : أن جل الظاهرة الصرفية هي تفسير لكينونات لغوية حاول القدماء إيضاحها ثم تبعهم الدارسون المحدثون في التفسير ، وربما اختلفوا في أداة التفسير عنهم .غير أن المحصلة واحدة إذ يجمع عمل الفريقين أن صنيعهم كائن على هامش اللغة وليس على ذاتها ، فتفسير أصل الألف في (قام وباع) مثلا هو أصل افتراضي وليس نطقيا ، ولعل هذا هو الذي شجع الدارسين وسوغ عملهم .

ومنه نستمد العون والتوفيق

بناء الفعل للمجهول

<u>في الاصطلاح :</u>

ذهب غير واحد من الباحثين إلى أن الاصطلاح (ما لم يسم فاعله) اصطلاح كوفي ، يقابله عند البصريين اصطلاح الفعل الذي بني للمفعول أو المبني للمجهول[3].ويبدو أن جل الباحثين قد اعتمدوا على النقل ، لا الرجوع إلى منابع هذا المصطلح في أمات كتب المذهبين ، مما أوقع بعضهم في تناقض عند كلامهم على هذا المصطلح ، فبعد أن قرر الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه (المدارس النحوية أسطورة وواقع) في الصفحة ١٢١ ، أنه من مصطلحات الكوفيين الخاصة في باب المرفوعات ، عاد في الصفحة التي تليها ليقول : ((على أن ما لم يسم فاعله قد استعمله البصريون أيضا كالمبرد وابن السراج والزجاجي وابن جني وغيرهم كثير)) ، وقد أحال على كتبهم ، أقول : كيف يكون خاصا بالكوفيين وقد استعمله البصريون باعترافه هو ؟

---

(١) ينظر مثلا : قضايا صوتية في النحو العربي ، د . طارق عبد عون الجنابي (بحث)

(٢) ينظر مثلا : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، د . الطيب البكوش .

(٣) ينظر : أبو زكريا الفراء : ٤٤٤ ، الدراسات النحوية والصرفية واللغوية في صحاح الجوهري : ١١٣، المدارس النحوية د. شوقي ضيف : ٢٠٠

الحق أن هذا المصطلح من استعمال البصريين والكوفيين ، وسيبويه درسه تحت تسمية المفعول الذي لا يتعداه فعله إلى مفعول[1]، ولم أجده يستعمل اصطلاح الفعل المبني للمجهول كما زعموا ، بل يعبر عنه بصيغة فُعِلَ ويُفْعَل وتصريفهما[2] ، فمثلا قال : ((هذا باب ما جاء فُعِلَ منه على غير فَعَلْتُهُ))[3] ، وهذا عائد إلى أن المصطلح النحوي في زمنه لم يكن قد اكتسب الاستقرار والنضج ، وعبر عنه المبرد بقوله : ((المفعول الذي لا يذكر فاعله))[4] ، واستعمل اصطلاح (ما لم يسم فاعله) قائلا : ((فإن بنيت شيئا من هذه بناء ما لم يسم فاعله فإنك تجريها مجرى الثلاثة في القلب وتسلم صدرها))[5] .كذلك استعمله ابن السراج قائلا : ((وإن كان الفعل يتعدى إلى مفعولين نحو : أعطيت زيدا درهما فرددته إلى ما لم يسم فاعله قلت : أُعْطِيَ زيد درهما))[6] فضلا عن استعماله مصطلح الفعل المبني للمفعول[7] ، فواضح أن هذا المصطلح يستعمله البصريون والكوفيون ، فهو ليس خاصا بالكوفيين[8] ، بل من المصطلحات المشتركة في الاستعمال بينهم .

كيفية بناء الفعل للمجهول

أفعال العربية على نوعين : مبني للمعلوم ، وهو ما ذكر معه الفاعل ، ومبني للمجهول ، وهو ما لم يذكر معه الفاعل ، والأول هو الأصل ؛ لأن الآخر مأخوذ منه بتغيير يحدث في بنية الفعل وعلى الوجه الآتي :

أ. الفعل الماضي :

وقاعدته عند بنائه للمجهول بضم أوله وكسر ما قبل الآخر ، نحو : ضُرِبَ وعُلِمَ ودُحْرِجَ[9] ، فإن كان الماضي مبدوءا بتاء المطاوعة أو أي تاء مزيدة ، ضم مع أوله التاء ، فنقول في (تَدَحْرَجَ وتَعَلَّمَ : تُدُحْرِجَ وتُعُلِّمَ)[10]، ولو لم يضم ما بعد التاء لالتبس في حال الوقف بصيغة المضارع المطاوع له نحو : تُكلِّمْ وتُجاهِلْ وتُدحْرِجْ .وإن كان مبدوءا بهمزة وصل اتبع الثالث الأول في الضم ، فنقول : أُسْتُخْرِجَ وأُنْطُلِقَ ، ولو اقتُصر فيه على ضم أوله وكسر ما قبل الآخر لالتبس الماضي المبني للمجهول بالأمر إذا وقف عليه واتصل بما قبله نحو : ألا استخرِجْ . أما إذا كان ثاني الفعل الماضي ألفا زائدة نحو : دافع وقاتل ، فعند بنائه للمجهول تقلب هذه الألف واوا رعاية للضمة قبلها فتقول : دُوفِع ، وقُوتِل .

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه : ٤٢/١

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨١/٤-٢٨٢-٣٤٢

(٣) المصدر نفسه : ٦٧/٤

(٤) المقتضب : ٥٠/٤

(٥) المقتضب : ١٠٥/١، وينظر أيضا : ١٧٣/١

(٦) الأصول : ٨٦/١، وينظر أيضا : ٩٠/١-٩١

(٧) ينظر : الأصول : ٨٦/١-٨٧

(٨) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٠٢/١، ١١٢، ٢١/٣ ، مجالس ثعلب : ١/ ١١٣، ٢٠٨

(٩) ينظر : شرح المفصل : ٧٠/٧

(١) ينظر : شرح الأشموني : ١٧٨/٢

كذلك الأمر إن كانت الألف ثالثة زائدة ، نحو : تقارب وتباعد ، فعند بنائها للمجهول نقول : تُقُورِب وتُبُوعِد[1] .وقد ذهب ابن السراج إلى أن الغرض من هذا البناء غرض دلالي ، وإنما كان لقصد المخالفة بين الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول ((لئلا يلتبس المفعول بالفاعل))[2] .أما الفعل الماضي الثلاثي الأجوف ، فالواوي نحو (قال) فيه ثلاث لغات :

الأولى : - وهي أعلاها[3] – أن نقول : قِيل ، والأصل فيها : قُوِل ، ثم أُعِلَّ حملا له على ما سمي فاعله ، أو قل : إن الكسرة ثقيلة مع الواو ؛ فنقلوا كسرة الواو إلى القاف بعد سلب حركتها ، فانظر كيف تغلبت حركة على حركة ، ثم قلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، فصارت (قِيْلَ) فاستوى فيه ذوات الواو والياء .

والصرفيون العرب القدماء لم يفسروا لنا كيفية تحول الياء من احتكاكية إلى مدية ، والفرق بينهما كبير في المخرج والوظيفة وكأني بابن يعيش يحس بالفرق الصوتي فيقول : ((فصار اللفظ بها بكسرة خالصة وياء خالصة))[4] .

والثانية : أن تنطق القاف بين الضم والكسر حرصا على بيان الأصل ، أي لا نخلصها عند النطق بها إلى الكسر ولا الضم ، وهذا ما يسمى (الإشمام) وهو لا يظهر إلا باللفظ[5] . وقد أوضحه الأشموني قائلا : هو الإتيان على الفاء بحركة بين الضم والكسر[6] .

والثالثة : أن تبقى الضمة حرصا على بناء الكلمة وتحذف الكسرة من الواو لثقلها فنقول : قُوْلَ[7] . فقد قرئ قوله تعالى : **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ}(البقرة/١١)** بإتمام الضم ، وقرئ بالكسر ، واختار مكي الكسر لأنه قال : والكسر أولاهما عندي ، محتجا لهذا الاختيار بقول أبي الطاهر : ((والكسر سنن العربية)) وقول أبي حاتم : ((وهي في اللغات أفشى ، وفي الآثار أكثر وعلى الألسنة أخف ، وفي قياس النحو أجود))[8] .

أما الأجوف اليائي ففيه ثلاثة أوجه أيضا :

الأول : بِيْعَ ، والأصل : بُيْعَ ، ثم نقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب حركتها .

والثاني : بإشمام الباء شيئا من الضم ، وعليه قراءة الكسائي[9] قوله تعالى : **{وَغِيضَ الْمَاء}(هود/ ٤٤)** وقرأ غيره بإخلاص الكسر[10] .

والثالث : ضم الأول إشعارا بالأصل ومحافظة على البناء ، وحذف الكسر من الياء ، فتقع الياء ساكنة بعد ضم ، فتقلب واوا ، فنقول : بُوْعَ فيستوي ذوات الياء والواو ، ولا شك في أن الياء كانت احتكاكية فأصبحت واوا مدية ، وهم لم يوضحوا لنا هذا التحول .

---

(١) ينظر : الصرف : ١٢٢ ، المهذب في علم التصريف : ١٤٦

(٢) الأصول : ٨٦/١

(٣) ينظر : شرح المفصل : ٧٠/٧

(٤) المصدر نفسه : ٧٠/٧

(٥) ينظر : المهذب : ١٤٧

(٦) ينظر : شرح الأشموني : ١٧٨/٢

(٧) ينظر : شرح التصريح : ٤٣٧/١

(٨) الكشف عن وجوه القراءات : ٢٣٢/١ ،

(٩) ينظر : النشر : ٢٠٨/٢

(١٠) ينظر : شرح المفصل : ٧٠/٧، وشرح ابن عقيل : ٥٠٥/١

وعند إسناد الأجوف المبني للمجهول إلى الضمير المتحرك حذفت عينه وكسرت فاؤه إذا كانت تضم عند بنائه للمعلوم ، لئلا يلتبس بالمبني للمعلوم ، فإن كانت فاؤه تكسر في البناء للمعلوم فإنها تضم في المبني للمجهول ، فنقول على الأول : سِقْتُ ، أي : ساقني فلان ؛ لأن المبني للمعلوم سُقْتُ ، وعلى الثاني نقول خُفْتُ ؛ أي أخافني فلان ، لأن المبني للمعلوم خِفْتُ[1] .أما الفعل الثلاثي المضعف مثل مَدَّ ورَدَّ فيجوز عند بنائه للمجهول وجهان :

الأول : ضم الفاء وهو الأفصح ، **والثاني** كسرها ، وعلى الكسر قرئ[2] : { **هَـذِهِ بِضَـاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَـا** } **(يوسف/٦٥)** و **{وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ}(الأنعام / ٢٨)** ، وقد جوز بعض النحويين الإشمام[3] .

أما الماضي على وزن (افتعل وانفعل) معتل العين مثل : (اختار وانقاد) فيجوز فيها الضم ، فنقول : (اختور وانقود) ، ويجوز الكسر فنقول : (اختير وانقيد)، وجوزوا الإشمام فيه أيضا[4] .أما إذا كان الفعل الماضي ناقصا فعند بنائه للمجهول تقلب ألفه ياء ؛ وذلك لانكسار ما قبلها ، سواء أكان الفعل واويا أم يائيا ، فنقول في (دعا) : (دُعِيَ) ، وفي (بنى) : (بُنِيَ) . ولكن ما الصلة بين الألف والياء ؟ وما نوع هذه الياء ؟ أهي مدي أم احتكاكية ؟ لم يقل عنها الصرفيون شيئا .

ب. الفعل المضارع

يبنى الفعل المضارع للمجهول بضم أوله حملا له على أول الماضي ، وفتح ما قبل الآخر لتعتدل الضمة بالفتحة ؛ لأن المضارع أثقل من الماضي ، نحو : يُضْرَب ويُدَحْرَج ويُسْتَخْرَج ، إذا كان سالما ، أما الأجوف الواوي أو اليائي نحو : يقول ويبيع ، فعلى القاعدة السابقة ينبغي أن يكون الفعلان : يُقْوَل ويُبْيَع ، فالواو والياء متحركان وقبلهما حرف ساكن صحيح ، ثقلت الحركة عليهما ، فتنقل إلى الصحيح الساكن قبلهما فنقول فيهما : يُقَوْل ويُبَيْع ، والآن تحرك الواو والياء أصلا وانفتح ما قبلهما[5] فقلبا ألفا ، أو قل : أسكن الواو والياء فقلبا ألفا رعاية للفتحة قبلهما ، فنقول فيهما : يُقَال ويُبَاع ، فإن كان المضارع ناقصا ، فعند بنائه للمجهول تتحول الواو أو الياء إلى ألف لانفتاح ما قبلهما ، فنقول في يدعو : يُدْعَى ، وفي يرمي : يُرْمَى .

ج. الأمر :

الغالب في الفعل المبني للمجهول أن يكون للغائب ، ولما كان الأمر مخاطبا فلا يبنى للمجهول ، وإذا أريد بناء الأمر للمجهول في سياق الكلام عمدنا إلى المضارع المبني للمجهول مقرونا بلام الأمر فنقول : لِيُقْرَأ الكتابُ .

هكذا قال علماء الصرف القدماء عن بناء الأفعال للمجهول ، وزادوا في تفصيل ذلك بأن قالوا : إنما وجب هذا التغيير لقصد المخالفة بينه وبين الفعل المبني للمعلوم بحسب تعبير ابن السراج المتقدم- ولئلا يلتبس المفعول بالفاعل – وتعبيره المخالفة ذو قيمة كبيرة عندنا ، وستنفعنا للانطلاق منها عند بحث هذا التغيير في ضوء

---

(١) ينظر : شرح الأشموني : ١٨٣/٢، الصرف : ١٢٢ ، المهذب : ١٤٩

(٢) ينظر في الآية الأولى : شرح الأشموني : ١٨٣/٢، البحر المحيط : ٣٢٣/٥، وفي الثانية : شرح الأشموني : ١٨٣/٢، البحر المحيط : ٤/ ١٠٤

(٣) ينظر : شرح ابن عقيل : ٥٠٦/١، المهذب : ١٥٠

(٤) ينظر : شرح ابن عقيل : ٥٠٧/١

(٥) بعد نقل الحركة .

الدراسة الصوتية الحديثة . وقالوا أيضا : إن التغيير إنما اختير للمبني للمجهول لأنه أقل استعمالا ، فهو خروج عن الأصل إلى الفرع ؛ لأن الأصل أن يذكر الفاعل .وعمدوا إلى ضم الأول وكسر ما قبل الآخر في الماضي ؛ لأنه بناء ينفرد به ، فلا يشركه بناء آخر من أبنية الأسماء والأفعال المبنية للمعلوم ، وقيل : ((إنما ضم أوله لأن الضم علامة من علامات الفاعل ، فكان هذا الفعل دالا على فاعله ، فوجب أن يحرك بحركة ما يدل عليه))[1] .

ويرى الرضي أن غرابة هذا البناء لتناسب غرابة هذا النوع من الأفعال ، إذ الفعل من ضرورة معناه ما يقوم به وهو الفاعل[2] .ثم جاءوا بتعليل صوتي يستدعي منا وقفة للتأمل عندما بحثوا سبب ضم أوله وكسر ما قبل الآخر ، لا العكس ، فقالوا : إن الأول أولى ؛ لأنه أخف عليهم ، لأن الخروج من الضم إلى الكسر أخف من الخروج من الكسر إلى الضم ، لأنه إذا بدئ بالأخف وثني بالأثقل كانت الكلفة أثقل من الابتداء بالأثقل ثم يؤتى بالأخف ، ألا ترى أنه لو فتح ثانيه أو سكن أو ضم لم يخرج عن الأمثلة التي تقع في الاستعمال ، فنحو : فُعِلَ أيسر وأخف من فِعُلَ .والذي يبدو لنا أن هذا الكلام ليس بمطرد ، ولا على إطلاقه ، لأن اطراده يعني أن لا نجد أبنية في اللغة فيها خروج من الخفيف إلى الثقيل ، وهذا الباب الخامس من أبواب الفعل الثلاثي قد جاء على صيغة (فَعُلَ) ، وفيها خروج من الأخف إلى الأثقل ، ومن ذلك الخروج من الفتح إلى الكسر في صيغة (فَعِلَ) ، لذلك فإن العلماء قد اجتهدوا كثيرا ليفسروا قراءة أبي السمال[3] : **{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ }** **(الذاريات/٧)** إذ قربكسر الحاء .إن المتأمل لبناء الفعل للمجهول لواجد أن هذا العمل كله قائم على تغيير الحركات ، أما الحروف فهي ثابتة . أو قل بحسب تعبير الصوتيين : إن الأمر كله قائم على تغيير المصوتات ، أما الصوامت فهي ثابتة تحمل الدلالة وتستقل بها . فانظر إلى الفرق بين الفعلين (ضَرَبَ وضُرِب /ضَ-/رَ-/بَ-/ /ضُ-/رِ-/بَ-/ .

وبين الفعلين : ضارَبَ ، ضُوْرِبَ : /ض-ً/ر-َ/ب-َ/ /ض-ُوْ/ر-ِ/ب-َ/ .

وأنت ترى أن الصوامت (ض ، ر، ب) ثابتة ، والمتغير المصوتات ، على أننا نذهب مع ما يراه الصوتيون المحدثون : أن المصوتات على نوعين : قصيرة ، وهي الفتحة والضمة والكسرة ، وطويلة وهي الألف والواو والياء المديات[4] .

وعلى وفق هذا المنهج نستطيع أن ندرس هذا التغيير على الوجه الآتي :

١. الفعل الماضي :

فالثلاثي نحو (كَتَبَ) تغيرت فيه الفتحة الأولى ـ وهي قمة المقطع الثاني ـ إلى كسرة ، أي : /كَ-/تَ-/بَ-/ /كُ-/تِ-/بَ-/.

كذلك ما كان مبدوءا بتاء المطاوعة ، نحو تَدَحْرَجَ أصبحت تُدُحْرِجَ ، إذ تحولت الفتحة في المقطع الأول إلى ضمة ، وكذلك الفتحة في المقطع الثاني ، أي /تَ-/ /تُ-/ ، /دَ-ح/ /دُ-ح/، وكذلك الفتحة في المقطع ما قبل الأخير /رَ-/ أصبحت كسرة / رِ-/ ، والتغيير كله : /تَ-/دَ-ح/رَ-/جَ-/ /تُ-/دُ-ح/رِ-/جَ-/ .

---

(١) شرح المفصل : ٧١/٧

(٢) ينظر : شرح الرضي : ١٣٣/٤

(٣) ينظر : شرح التصريح : ٦٥٧/٢-٦٥٨

(٤) ينظر : الأصوات اللغوية : ٣٩، دراسات في علم اللغة ، ١٢٦، فصول في فقه اللغة : ٣٩٧، في البحث اللغوي عند العرب : ٨٤، التشكيل الصوتي : ١٣١

فإن كان الماضي مبدوءا بهمزة وصل نحو (استخرج) فعند بنائه للمجهول تتحول حركة المقطع الأول إلى ضمة أي : /ءِ-س/ /ءُ-س/ ، تماثلها حركة المقطع الثاني أي : /تَ-خ/ /تُ-خ/ ، أما حركة ما قبل الأخير فتتحول إلى كسرة ،

أي /رَ-/ /رِ-/ .

والتغيير كله : /ءِ-س/تَ-خ/رَ-/جَ-/ /ءُ-س/تُ-خ/رِ-/جَ-/.

فالأمر كله كما هو واضح قائم على المخالفة بين المصوتات ، الأمر الذي يؤدي إلى تغيير الدلالة من الإسناد إلى الفاعل إلى ما ينوب عنه ، وهو ما أحسَّ به ابن السراج وعبر عنه بالمخالفة ، وهذا هو منطق اللغة يستخدمها أصحابها للتعبير عن أغراضهم ويتصرفون في الأبنية والاشتقاق سدا لحاجاتهم الدلالية ، ولا شك في أن هذا قد حدث منذ المراحل الأولى لاستعمال اللغة .وتتضح هذه المخالفة أو المغايرة بين المصوتات أكثر عندما يكون ثاني الماضي ألفا نحو : دافع ، فالألف فيه – وهي قمة المقطع الأول – تتحول إلى واو مدية ، أي :

/دَ-/ /د-ُ/ ، والفتحة التي هي قمة المقطع الثاني تتحول إلى كسرة ، أي :

/فَ-/ /فِ-/ .

والتغيير كله هو : /دَ-/فَ-/عَ-/ /د-ُُ/ فِ-/عَ-/ فانظر إلى المخالفة في كيفية تحول الألف وهي أخف الحركات لأنها لا علاج لها على اللسان إلى واو مدية وهي أثقل الحركات لأن فيها إعمال عضلتين .

ومثل ذلك إذا كانت الألف ثالثة زائدة نحو تقارب ، إذ تتحول قمة المقطع الأول إلى ضمة : /تَ-/ /تُ-/ ، والألف إلى واو مدية : / قَ-/ /ق-ُ/ .

وكذلك قمة المقطع ما قبل الأخير تتحول إلى كسرة : / رَ-/ /رِ-/ ،

والتغيير كله : /ت-َ/قَ-/رَ-/بَ-/ /تُ-/ق-ُ/ ر-ِ/بَ-/ .

أما الأجوف الواوي ففيه ثلاثة أوجه :

الأول : تغيير قمة المقطع الأول من ألف إلى ياء مدية : / قَ-/ / قِ-/ . أي : /قَ-/ل-َ / /قِ-/لَ-/ .

الثاني : نطق حركة المقطع الأول بين الضم والكسر ، وهذا لا يظهر إلا في اللفظ ((ولا يظهر في الخط))[1] ، وهذه الحركة وصفها الدكتور إبراهيم أنيس بأنها ياء المد الممالة نحو الضم[2] ، وهذا النطق كثير في قيس وأكثر في بني أسد[3] .

الثالث : تغيير قمة المقطع الأول من ألف إلى واو مدية : /قَ-/ /ق-ُ/ ، أي : /ق-ًَ/لَ-/ /ق-ُ/لِ-/ .وهذا النطق يعزى إلى بني فقعس وبني دبير وبعض بني تميم وبني ضبة وحكيت عن هذيل .

أما الأجوف اليائي ففيه ثلاثة أوجه أيضا ، الأول : تغيير قمة المقطع الأول من ألف إلى ياء مدية : / بَ-/ /بِ-/ ، أي : /بَ-/عَ-/ /بِ-/عَ-/ .

---

(1) شرح ابن عقيل : ٥٠٥/٢

(2) ينظر : الأصوات اللغوية : ٤٠

(3) ينظر : شرح التصريح : ١/ ٤٣٧

الثاني : نطق حركة المقطع الأول بالإشمام ، وهو لا يظهر إلا باللفظ كما تقدم .

الثالث : تغيير قمة المقطع الأول من ألف إلى واو مدية ، ففي باع نقول : بوع ، أي : /ب-ـً/ /ب-ـُ/ ، والفعل /بً-/عَ-/ ← /ب-ـُ/عَ-/ .

وعند إسناد الأجوف إلى الضمير المتحرك تتحول حركة المقطع الأول في المبني للمعلوم إلى كسرة في المبني للمجهول لغرض دلالي هو الفرق بين الفعلين ، فنقول : سِقْتُ في سُقْتُ ← أي /سُ-ق/تُ-/ ← /س-ـِ ق/تُ-/ ، وهذا من باب المغايرة أيضا .وعلى العكس من هذا تتحول قمة المقطع الأول في المبني للمعلوم إلى ضمة عند بنائه للمجهول للغرض نفسه ، فنقول : خُفْتُ في خِفْتُ ← ، أي /خ-ِف/ت-ـُ/ /خ-ـُ ف/ت-ـُ/ .أما الماضي المضعف فيجوز فيه الوجهان ، الأول تحويل قمة المقطع الأول إلى ضمة وهو الأفصح ، فنقول في رد : رُدّ أي /رَ-د/دَ-/ /رُ-د/دَ-/ .

الثاني : تحويلها إلى كسرة أي ردّ : /رَ-د/دَ-/ /رِ-د/دَ-/ ←

وفي الفعلين (اختار وانقاد) وجهان أيضا : الأول : تحويل الألف إلى واو مدية ، فنقول : اختور ، أي /ءِ-خ/تً-/رَ-/ /ءُ-خ/ت-ـُ/ رَ-/ ←

انقاد : انقود : /ءِ-ن/قً-/دَ-/ /ءُ-ن/ق-ـُ/دَ-/ ←

الثاني : تحويل الألف إلى ياء مدية ، أي

اختار اختير : /ءِ-خ/تً-/رَ-/ /ءُ-خ/تٍ-/رَ-/ ←

انقاد انقيد : /ءِ-ن/قً-/دَ-/ /ء-ـُن/ق-ـٍ/د-ـَ/ ←

أما الماضي الناقص ، وهو منته بفتحة طويلة (الألف) فعند بنائه للمجهول يضم أوله وينشطر[1] الألف إلى مكونيه (الكسرة والياء الاحتكاكية) ، أي :

دعا : /دَ-/ع-ـً / /د-ـُ/ع-ِ/ي-ـَ/ .

-ـِ ي-ـَ

بنى : /ب-ـَ/ن-ـً / /بُ-/نِ-/يَ-/ .

-ـِ ي-ـَ

وبذلك نفسر الصلة بين الياء والألف ، ونوع هذه الياء وهي احتكاكية من غير شك ، كما تبدو ظاهرة المغايرة في أجلى صورها هنا ، عندما تغيرت المصوتات من فتحة إلى ضمة ، بل ظهرت فيها المصوتات بأنواعها الثلاثة (الضمة والكسرة والفتحة) .

٢. الفعل المضارع :

وقانون \مغايرة المصوتات أيضا يطبق على الفعل المضارع عند بنائه للمجهول ، فالفعل (يَضْرِب) عند بنائه للمجهول نقول : فيه : يُضْرَبُ ، أي :

/يَ-ض/رِ-/بُ-/ /يُ-ض/رَ-/بُ-/ .

---

(١) الانشطار : هي الحالة التي يتحول فيها المصوت الطويل إلى مصوت قصير ونصف مصوت من جنسه . ينظر : أبحاث في أصوات العربية : ٨

والتخالف واضح بين الماضي والمضارع ، فحركة المقطع ما قبل الآخر في الماضي المبني للمجهول كسرة ، ولكنها فتحة في المضارع المبني للمجهول .أما المضارع الأجوف الواوي أو اليائي فعند بنائه للمجهول تتحول قمة المقطع الأول من الفتح إلى الضم ، وقمة المقطع ما قبل الآخر تتحول أيضا من واو مدية إلى ألف ، ففي الفعل يقول : يُقَال : /يَ-/ق-ُ/ا/ل-ُ/ /يُ-/قَ-/لُ-/، ومثله الفعل يبيع : يُبَاعُ :

/يَ-/بِ-/عُ-/ /يُ-/بَ-/عُ-/.وعن طريق التخالف أيضا نستطيع أن نفسر تحول الواو أو الياء المديتين إلى ألف في المضارع الناقص في نحو : يدعو ويرمي ، أي :

يدعو : /ي-َ د/ع -ُ/ُ/ُ/ /يُ-د/ع-/

-ُ -ً

يرمي : /يَ-ر/م-ٍ/ /ي-ُر/م-ً/

-ُ -ً

فالتخالف أو المغايرة في غاية الوضوح بين المصوتات ، فالفتحة تحولت إلى ضمة ، والواو المدية إلى ألف ، أي :

فتحة ضمة ←

واو مدية ألف ، وكذلك فتحة ضمة ←

ياء مدية ألف ←

وأنت ترى معي مما تقدم أن الصوامت ثابتة ، وهي التي تحمل المعنى الأصلي (الدلالة) الذي تدل عليه مجتمعة ، أما التغيير فحادث في المصوتات ، إذ هي التي تشخص المعنى وتبرزه في حال معينة ، وهي التي تستقل بتوجيه الدلالة حيث يريد المتكلم ، فهي التي حولت دلالة الفعل من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول ، وقد سمى د . فليش هذا التغيير : التحول الداخلي أو نظام تعاقب المصوتات[1] .وسماه غيره قانون المغايرة[2] . وقد كان الخليل على درجة كبيرة من السداد عندما قال : ((إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به))[3] ، ومن دون شك فإن تفسير بعض الباحثين لذلك قاصر عندما قال : ((ومعنى (زوائد) الإشارة إلى كونها رموزا إضافية تلحق الكلم))[4] بيد أن الرضي قد أوضحها غاية الإيضاح بقوله : ((هي الروابط بين حروف الكلمة بعضها ببعض ، وذلك أنك تأخذ أبعاضها – أعني الحركات – فتنتظم بها بين الحروف ، ولولاها لم تتسق))[5] . وبهذا التفسير – على ما أظن – نبتعد عن مشكل تغلب حركة على أخرى ، كتغلب الكسرة على الضمة في نحو (قُولَ) ثم (قيل) ، ولا سيما أن الصرفيين قد أكدوا ذلك من خلال أصولهم التي تقول : إن تغيير

---

(١) ينظر : العربية الفصحى : ٥٦

(٢) ينظر : في الأصوات اللغوية : ٢٥١

(٣) كتاب سيبويه : ٢٤١/٤

(٤) في البحث الصوتي عند العرب : ٥٠

(٥) شرح الشافية : ١١/١

الحركة أقلّ من تغيير الحرف ، واستبعاد نقل الحركة إلى متحرك ، لأن النقل إنما يكون إلى الساكن دون المتحرك ، الأمر الذي دعاهم إلى أن يجتهدوا في التأويل : بين من يغلب حركة على حركة ، ومن يحذف الحركة ثم ينقل إلى مكانها ، ومنهم من يقلب الحركة ، فضلا عن أن الواو في (قُولِ)و(قِوْلَ) احتكاكية ثم تحولت إلى ياء مدية ، وهذه حركة طويلة في الدراسة الصوتية الحديثة ، كذلك الواو في (قُولِ)التي أصبحت (قُوْلَ) ، والياء في (بُيْعَ) التي أصبحت (بوع) ، كيف تحولت من احتكاكية تقع قاعدة في المقطع ويمكن أن تتبعها حركة إلى واو مدية (مصوت طويل) .

الخلاصة :

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول ما يأتي :

١. لا صحة لما نقله الباحثون أن اصطلاح (ما لم يسم فاعله) اصطلاح كوفي ، وهو عند البصريين اصطلاح البناء للمفعول أو المبني للمجهول ، إذ استعمله الفريقان على حد سواء .
٢. إن فكرة البناء للمجهول برمتها إنما تقوم على نظام تغيير الصوائت داخل المقاطع الصوتية ، أما الصوامت فهي الثابتة .
٣. تحمل الصوامت الدلالة المركزية العامة ، أما الصوائت فهي توجه هذه الدلالة .
٤. إن الكثير من هذا التغيير إنما يقوم على نظام المغايرة بين الصوائت وتخالفها كأن يكون انتقالا من خفيف إلى ضده الثقيل مثلا .
٥. فسرنا الصلة بين هذه الأصوات كالياء والواو والألف ، فضلا عن نوعية الواو والياء اللتين سكت عنهما الصرفيون القدماء .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

١. أبحاث في أصوات العربية ، د. حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٩م .

٢. أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، د . أحمد مكي الأنصاري ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية ، نشر الرسائل الجامعية ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٣. الأصوات اللغوية ، د . إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م .

٤. الأصول في النحو ، لابن السراج (ت ٣١٦ هـ) بتحقيق د . عبد الحسين الفتلي ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٥. البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨هـ ، طبعت بالأفسيت ، بيروت ، نشر مطابع النصر الحديثة في الرياض .

٦. التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، فونولوجيا العربية ، د . سلمان حسن العاني ، ترجمة ياسر الملاح ، الطبعة الأولى ، مطابع دار الميلاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٧. الدراسات النحوية والصرفية واللغوية في صحاح الجوهري ، عبد الرسول سلمان إبراهيم ، رسالة ماجستير ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ١٩٨٦م .

٨. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي بن محمد الأشموني (ت٩٢٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،

الطبعة الثانية ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٩م.

٩. شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م .

١٠. شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي(ت٦٨٦هـ) ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ،الطبعة الأولى ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٩م.

١١. شرح المفصل لابن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية .

١٢. الصرف ، د . حاتم صالح الضامن ، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩١م .

١٣. العربية الفصحى ، نحو بناء لغوي جديد ، د . هنري فليش ، تعريب د . عبد الصبور شاهين ، الطبعة الثانية ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٣م .

١٤. في الأصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ، د . غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٤م .

١٥. في البحث الصوتي عند العرب ، د . خليل إبراهيم العطية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣م .

١٦. قضايا صوتية في النحو العربي ، د . طارق عبد عون الجنابي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٣٨) ، سنة (١٩٨٧م) .

١٧. كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت ١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٨. المدارس النحوية ، د . شوقي ضيف ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م.

١٩. معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢٠. المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .

٢١. المنهج الصوتي للبنية العربية ، د . عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٢٢. المهذب في علم التصريف ، د . هاشم طه شلاش ، د . صلاح مهدي الفرطوسي ، د . عبد الجليل عبيد ، مطبعة التعليم العالي ، الموص